ماذا بقي من الحركة الفرنسية التي سادت العالم العربي بعد 50 سنة؟

كتبه صالح بن | 4 يونيو ,2018

ترجمة وتحرير: نون بوست

ظهر في كل من لبنان وسوريا وتونس والمغرب والجزائر جيل متأثر بأفكار الحركة الفرنسية التي قامت سنة 1968، قبل أن تتراجع مع عودة الوعي الإسلامي وبروز الإسلام السياسي في المنطقة. وقد هزت الموجة المناهضة للاستبدادية والرأسمالية والمعادية للإمبريالية الملوّنة بالعلمانية، العالم بعد أن ظهرت خلال شهر آيار/ مايو سنة 1968، منطلقة من فرنسا.

كشفت هذه الحركة عن بعض رؤساء الدول العربية المتأثرين بها على غرار جمال عبد الناصر والحبيب بورقيبة، اللذين رغم مواقفهما السياسية، إلا أنهما لم يتحرجا من الحديث علانية عن الحجاب والصوم معتمدين أسلوب الفكاهة والسخرية، في عصر التحرر الأخلاقي النسبي. مع ذلك، لم تستمر هذه الحركة لفترة طويلة. وقد طُوي دفتر التأثر بالحركة الفرنسية مع سيطرة الهياكل العشائرية والطائفية والأصولية الإسلامية على الفكر السائد والأخذ بزمام الأمور على حساب الفكر الشيعي السابق والفكر الذي جاءت به حركة آيار/مايو سنة 1968 الفرنسية.

هزيمة سنة 1967 وآيار/مايو سنة 1968

تاريخيا، ظهرت حركة العمال والحركة الطلابية في آيار/مايو 1968 بعد أقل من عام على انتهاء حرب الأيام الستة، التي تمكنت خلالها إسرائيل من الانتصار على العديد من الدول العربية، بعد أن ألحقت بهم هزيمة مذلة طالت الحكام وشعوب المنطقة، خاصة منهم القوميون المتشددون.

ساهمت سياسة ديغول القائمة على إحداث قطيعة مع "إسرائيل" في تولد شعور بتعاطف ملايين العرب مع فرنسا، وذلك على الرغم من أن فرنسا استمرت في ذلك الوقت، في الحفاظ على صورتها كمستعمر سابق ومؤيد لـ "إسرائيل"

من جهته، نوه المفكر الفرنسي السوري، فاروق مردم بك، إلى أن "الحكومة الفرنسية كانت عشية آيار/مايو سنة 1968 تحظى بشعبية كبيرة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بفضل سياسة شارل ديغول المؤيدة للعرب في أعقاب هزيمة 1967". والجدير بالذكر أن فاروق مردم بك شارك في الحركة الثورية في آيار/مايو سنة 1968 عندما كان يعيش في مدينة نانتير التي انطلقت حركة الاحتجاج من حرمها الجامعي.

ساهمت سياسة ديغول القائمة على إحداث قطيعة مع "إسرائيل" في تولد شعور بتعاطف ملايين العرب مع فرنسا، وذلك على الرغم من أن فرنسا استمرت في ذلك الوقت، في الحفاظ على صورتها كمستعمر سابق ومؤيد لـ"إسرائيل". وعلاوة على دعمها لتأسيس دولة يهودية سنة 1948، كانت فرنسا جزءًا من التحالف الثلاثي سنة 1956 الذي شن ضربات جوية ضد مصر في أعقاب تأميم قناة السويس من قبل عبد الناصر.

امتدت الروابط بين فرنسا و"إسرائيل" بعد هجوم كانون الأول/ديسمبر سنة 1968 على مطار بيروت عبر مغاوير إسرائيليين تم نقلهم بواسطة مروحيات فرنسية الصنع. وأثار هذا الحادث غضب الجنرال ديغول الذي فرض حظرا على بيع جميع المعدات العسكرية لـ"إسرائيل"، قبل ثلاثة أشهر فقط من مغادرته للسلطة. نتيجة لذلك، أصبح ينظر الشارع العربي لأحداث آيار/مايو سنة 1968 في أيامها الأولى على أنها محاولة لزعزعة استقرار السلطة المؤيدة للعرب في فرنسا. وأضاف فاروق مردم بك: "لقد ذهبت الصحافة إلى حد إثارة مؤامرة صهيونية ضد ديغول لموقفه الثابت تجاه "إسرائيل" في أعقاب حرب 1967".

سرعان ما هبّت الرياح الثورية تدريجيا في زوايا العالم الأربع قبل أن تمتد إلى الشارع العربي، وخاصة في الوسط الطلابي. وعلى الرغم من انتشار الفكر الشيوعي بالفعل في العديد من البلدان في المنطقة خلال تلك الفترة، إلا أن حركة آيار/مايو وجدت متنفسا جديدا لها ضمن هذا الوسط. وفي هذا الإطار، صرح المفكر الفرنسي السوري أنه "خلال تلك الفترة، ظهرت بذور يسار جديد ويسار متطرف في المنطقة تأثرا بما يطرأ في العالم، وبالتحديد مع ظهور الحركة التروتسكية والماوية، وقد زرعت هذه البذور في الحرم الجامعي لبعض دول المنطقة العربية تزامنا مع تركيز لجان لدعم فلسطين".

في الشارع العربي، طرحت الطبقة الطلابية عدة قضايا من قبيل المساواة الاجتماعية وتقديم الدعم للطبقة العاملة ورفض الهياكل القديمة كالقبلية والطائفية الدينية، وخاصة في المغرب العربي، نظرا لأن أغلب هؤلاء الطلاب واصل تعليمه في فرنسا

مع ذلك، كان طلاب جامعات دمشق وبيروت، مرورا بتونس والقاهرة والرباط والجزائر، أكثر تأثرًا بالشعارات السياسية للحركة الثورية الفرنسية، مقارنة بالشعارات المجتمعية. وللتوضيح أكثر، قال فاروق مردم بك: "لقد كانت ثورتهم ضد كل من إسرائيل وأنظمتهم السياسية، التي حمّلوها مسؤولية هزيمة حزيران/يونيو سنة 1967". كما تتكيف كل دولة مع واقعها، حسب ما هبّت الحركة من أجل إسقاطه. فعلى سبيل المثال، تم رفض العنصرية في الولايات المتحدة والفاشية في إيطاليا والرأسمالية في تشيكوسلوفاكيا.

في الشارع العربي، طرحت الطبقة الطلابية عدة قضايا من قبيل المساواة الاجتماعية وتقديم الدعم للطبقة العاملة ورفض الهياكل القديمة كالقبلية والطائفية الدينية، وخاصة في المغرب العربي، نظرا لأن أغلب هؤلاء الطلاب واصل تعليمه في فرنسا. في المقابل، لم تجد الحريات الجنسية، ومكانة المرأة في المجتمع، وثورة القوانين الأخلاقية والقضايا المجتمعية الأخرى، التي تعد أكثر انتشارا على الساحة الفرنسية، "من يتحرك من أجلها في العالم العربي" حسب ما أفاد به فاروق مردم بك.

"تأثير محدود"

وفقا لفاروق مردم بك، اقتصرت تداعيات حركة آيار/مايو 1968 بشكل أساسي على الدول الأربع الناطقة باللغة الفرنسية (الفرنكوفونية) في المنطقة وهي دول المغرب العربي الثلاث؛ المغرب، والجزائر، وتونس، ودولة واحدة من المشرق العربي، المتمثلة في لبنان، من إجمالي 22 دولة عربية. ويُضيف فاروق مردم بك أنه "لهذا السبب كان تأثير تلك الأحداث محدودًا، واقتصر على المستوى الجغرافي فقط. بالإضافة إلى ذلك، لم تهبّ رياح التغيير عن حركة آيار/مايو 1968 فحسب، بل تأتت أيضا من الثورة الثقافية في الصين، وحرب فيتنام، وغيرها".

كان لهذه الحركة تأثير سلبي، داخل بعض هذه البلدان، خاصة على الفئات الشعبية المقربة تاريخيا من فرنسا. وكان ذلك الحال بالنسبة للبنان تحديدا، الذي هزته التطورات الإقليمية الناتجة عن هزيمة سنة 1967 والمقسم بين يمين فرانكوفيلي، ذا أغلبية مسيحية ومعاد للفلسطينيين، ويسار مكون من أغلبية مسلمة وموال للفلسطينيين.

> اشتدت رياح التغيير والحرية قوة بظهور، أو نمو، الأحزاب السياسية العلمانية

في تقرير نُشر تحت عنوان "بيروت/باريس في شهر آيار/مايو هذا" في صحيفة "لوريون ليتيرار"، كتب ملحم شاوول، الأستاذ في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية عن "اختفاء الصورة التقليدية التي رسختها مدارس التبشير الفرنسية (ذات الأغلبية الكاثوليكية) في مخيلتنا". ويُقر شاوول بأنه "رغم شعور المجتمع اللبناني، ولا سيما أوساطه المسيحية المحافظة، بالغربة في فرنسا بعد آيار/ مايو 1968، بسبب التثاقف والتمازج الثقافي، إلا أن فرنسا الجديدة أشرفت على 'عمليات استنساخ محلية' تتجلى من خلال إنشاء مسرح جديد وأنماط حديثة للتعبير الشعري والسينمائي والروائي".

اشتدت رياح التغيير والحرية قوة بظهور، أو نمو، الأحزاب السياسية العلمانية. ومن بين هذه الأحزاب؛ حزب البعث، في سوريا والعراق، والحزب السوري القومي الاجتماعي، والحزب التقدمي الاشتراكي، أو حركة اليسار الديمقراطي في لبنان، التي أسسها مثقفون ماركسيون وتروتسكيون في بيروت. والجدير بالذكر أن خلايا يسارية ظهرت في سوريا أيضا، إلى جانب الحزب الشيوعي الموالي للسوفييت، في أوساط الطلاب. لكن، سرعان ما عمد حافظ الأسد، الذي تولى رئاسة البلاد سنة 1970 على خلفية انقلاب عسكري، إلى تفكيكها.

الثورة المضادة؛ ديكتاتوريات وأسلمة

حدثت انتكاسات أخرى بعد هزيمة 1967، تماما مثل ما وقع في العراق وليبيا، البلدان اللذان ترأسهما طغاة سابقين، وهما صدام حسين ومعمر القذافي. وفي الحقيقة، أدى ظهور هذه الديكتاتوريات، التي تقوم على نظام الحزب الواحد والممارسات القمعية، إلى كبت الزخم الثوري الذي نشأ خلال الستينيات. ويُعبر فاروق مردم بك، الذي لم يعد إلى سوريا أبدا بعد سنة 1976، عن أسفه تجاه سيطرة الأنظمة الديكتاتورية قائلا: "كان يتملكنا آنذاك شعور بأننا سنُحقق انتصارات في العالم وفي المنطقة، قبل أن نشهد، بكل عجز، على عودة الظلم والاستبداد خلال الثمانينات".

اتبعت جماعة الإخوان المسلمين في لبنان، التي كان العديد من أعضائها منتمين إلى الحركة اليسارية إلى حدود ذلك الوقت، توجهات حزب الله تدريجيا

بالتزامن مع الموجة الجديدة للديكتاتورية، التي انتشرت تدريجيا في جميع أنحاء العالم العربي، بدأت ظاهرة الإسلام السياسي بالبروز في أعقاب حرب الأيام الستة. وتميزت هذه الظاهرة خاصة بتزايد شعبية الإخوان المسلمين في العديد من دول المنطقة العربية، بما في ذلك مصر وسوريا. وقد أدت الثورة الإسلامية في إيران (سنة 1979) إلى تفاقمها، خاصة في صفوف الطوائف الشيعية في الدول العربية.

فاروق مردم بك: "بالتزامن مع ذلك، لم ينجح اليسار العربي في تجديد نفسه واستقطاب المزيد من الشباب، الذين تزايدت شكوكهم إزاء الأيديولوجيات القديمة والأحزاب التي يلتف حولها عديد المؤيدون"

اتبعت جماعة الإخوان المسلمين في لبنان، التي كان العديد من أعضائها منتمين إلى الحركة اليسارية إلى حدود ذلك الوقت، توجهات حزب الله تدريجيا. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجماعة الشيعية تأسست سنة 1982، في أعقاب الثورة الإيرانية. كما استقطب قتالها الشرس ضد إسرائيل، على امتداد عقود، العديد من المتعاطفين والمؤيدين.

في الواقع، أزاحت ظاهرة الإرهاب السياسي الإسلامي، التي انتشرت وبشكل كبير منذ أواخر التسعينيات، الشيوعيين السابقين ونشطاء سنة 1968، الذين وجد بعضهم أنفسهم منخرطين في

الأصولية الإسلامية أو التشدد. وفي هذا السياق، يعترف فاروق مردم بك بأنه "بالتزامن مع ذلك، لم ينجح اليسار العربي في تجديد نفسه واستقطاب المزيد من الشباب، الذين تزايدت شكوكهم تجاه الأيديولوجيات القديمة والأحزاب التي يلتف حولها عديد المؤيدين".

رغم أن عبير أحداث 1968 فاح من الانتفاضات العربية في 2010 و2011 التي احتضنها ميدان التحرير في القاهرة (مصر) ودوار اللؤلؤة في المنامة (البحرين)، إلا أنه اختفى سريعا، ذلك أن هذه الاحتجاجات لم تستمر سوى لبضعة أشهر فقط. ويُعلّق فاروق مردم بك على ذلك قائلا: "فشل الشباب، الذين خرجوا إلى الشوارع رافعين شعارات الحرية، في مواصلة الدفاع عن مطالبهم من خلال تشكيل هياكل موحدة. وقد فسح ذلك المجال أمام الجماعات المنظمة، على غرار الإخوان المسلمين والسلفيين، ببسط سيطرتهم" في مصر، التي فاز فيها هؤلاء بعديد المقاعد خلال أول انتخابات برلمانية في مرحلة ما بعد مبارك.

متظاهرة ضد الحكومة التونسية، خلال أبريل/ نيسان سنة 2011 في تونس.

في سنة 2014، توّج ظهور تنظيم الدولة هذا التطرف الحاد. وعلاوة على دعمه لأنظمة دكتاتورية معينة، دفن هذا التنظيم، وبشكل نهائي، ما تبقى من الفكر الثوري التقدمي العربي، الذي تطور من حركة 1968 إلى ثورات الربيع العربي الأخيرة في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك، يرفض بعض المؤمنين بحركة 1968 التسليم بهزيمة نهائية.

ويخلص المفكر السوري الفرنسي، فاروق مردم بك، إلى أنه "لم يكن من الممكن حتما التفكير في ظاهرة من قبيل تنظيم الدولة أو تصور نموها في الستينيات. لكن، يطغى على العالم العربي اتجاهان

متعارضان في الوقت الحالي. فعلى الرغم من اكتساب الإسلام الراديكالي نفوذا واسعا، إلا أننا نلاحظ أن هناك شبابا منفتحا على العالم الخارجي، بأفكار وأنماط عيش بديلة، كما تشهد هذه الفئة تجدّدا مستمرا".

المصدر: سلايت

رابط المقال : https://www.noonpost.com/23565/